مائير ركوتش | خلاف ذلك، بدون تغيير

**القيّم يائير براك**

المرض هو الجانب المظلم من الحياة، المواطنة الأكثر مشقة. كل شخصٍ ولد وهو يحمل جنسيةً مزدوجةً، في مملكة الصحة، وفى مملكة المرض. على الرغم من أننا جميعًا نفضل استخدام جواز السفر الطيب. عاجلًا أو آجلًا، كلٌ منا مجبر ولو لمرةٍ واحدةٍ على الأقل أن يعرّف نفسه كمواطنٍ في الجانب الآخر.

(سوزان سونتاج، **المرض كاستعارة**)

يتجول مائير ركوتش في السنوات الأخيرة وفي جيبه جواز سفر "ذلك المكان الآخر"، المرغوب بشكل أقل. مرضه حاضر في أعماله بطرق متنوعة؛ عمليات طبية، ندوب على الجسد وعلاج دوائي كانت تعرض بشكل مباشر في معارضه السابقة، وهي تُعرض بطرق مجازية وتلميحية في المعرض الحالي.

في قلب المعرض النابض ثلاثة حيّزات زمنية: زمن ما قبل التاريخ – الحاضر في التصويرات الجيولوجية، وصخر هائل عمره ملايين السنين؛ والزمن البيولوجي – وهو زمن حياة الفنّان وانشغالاته في الزمن المتبقي – الزمن المحدد لكل البشر، والذي قد يهددنا بوقت أقصر بسبب غيمة المرض؛ والزمن الأخير والأكثر تملصًا في المعرض – هو مدة الإنكشاف، الزمن الذي تحدده عملية التصوير، وللدقة هو فتحة الكاميرا. هو زمن بدون تواصل، رمشة عين، جزء من لحظة يُموضع نفسه داخل الأبدية.

نظرة الفنّان مبدئية ومنهجية، لكنها تتقصى ما مضى والمؤقت. بحث في التكوين والمباني، التريث المتواصل وفحص الإمكانيات المختلفة التي تتيحها الكاميرا وال نظرة. ليس أمامنا صورة واحدة مكانتها فريدة، لن نجد هنا الصورة بأل التعريف. فهذا هو النفي من الأساس لجدوى لحظة التصوير الحاسمة. التصويرات التي ينتجها ركوتش هي مجموعة من اللحظات غير الحاسمة، التي تفتقر للتراتيبية. مجمل اللحظات كلها. فعلى سبيل المثال، انظروا إلى الحبل المتحرك في الهواء: فالصور الثلاث المتشابهة تصف تغييرات الطفيفة. على غرار الفحص الدقيق للتغييرات السريرية، المقارنة التي تتناول التفاصيل الدقيقة.

جميع الصور المشاركة في المعرض صُوّرت من خلال مشروع إقامة فنّان في أيسلندا، أرض الطبيعة البرية، والينابيع الساخنة والباردة والمناظر الطبيعية البركانية. غالبية الصور في المعرض صُوّرت بالقرب من البحر. ركوتنش لا يُصوّر أيسلندا، وهو ليس مصور مناظر طبيعية، وهو ليس مصور بحر. إنه ينتج الرؤية وفق مزاجه، وهشاشة النطاق الوجودي بين الخالد والمؤقت. نظرته تصالحية، وليست تعبيرية (كما يمكن أن توقع)، وأكثر من هذا كله، فهو متواجد في حالة تمعن. تمعن عميق، لكن هادئ. تمعن إلى الخارج – كأنه كان الداخل.

النصوص المعروضة إلى جانب الصور في المعرض هي مقاطع من تحليل فحوصات التصوير العرضي. تحليل هو بمثابة تكريمًا تفسيريًا، قراءة ذاتية (كلما بمكن للعلم أن يقترح الذاتية). بالإمكان التفكير بتصويرات ركوتش كتحليلات بصرية، والتفكير بالمصطلحات الطبية كتحليلات كلامية.

أما بخصوص التصويرات الطبية (وحقل الطب عامة) فهنالك مصطلح مهني. وهو غريب بالنسبة لمتلقي العلاج، ومن المفترض إلى حد بعيد أن يكون كذلك. وهو يميل إلى ابعاد مقدم العلاج عن متلقي العلاج، وخلق نوعًا من الحاجز التخصصي بين من يعرف ومن يعرف أقل. ففي داخل علم الأدوية الطبية وفي متاهات التوصيفات المقتضبة، بألوان الأسود والرمادي والأبيض، ثمّة عناصر لغة شاعرية. وبتواجدها خارج التشخيص التام، خارج مجال الوثيقة الطبية، بعيدًا عن النتائج، فهي تعمل كمجازات عجيبة، غنية بالتصويرات، تمنح النغمة للتشخيص الجاف، ولإعادة تعريف الزمن.